# طريق الحرير العظيم وأهميته الاقتصادية

الاستاذ الدكتور قحطان عبد الستار الحديثي
قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة بغداد

كانت التجارة العربية والاسلامية في القرن الرابع للهجرة مظهرا من مظاهر الاسلام . وصارت هي السيرة في بلادها وأخذت تجارة العرب والمسلمين المكان الأول في التجارة العالمية . وأصبح التاجر الغني هو ممثل الحضارة الإسلامية التي صارت من الناحية المادية كثيرة المطالب ، باعثه على الاستطالة في ذلك [١] .

وكان لعناية الخلفاء العرب بالتجارة وإهتمامهم بتيسير طرقها البرية والبحرية أثره في تمهيد السبيل أمام الكاشفين والرحّالين ، فكثرت رحلاتهم في هذا العصر كثرة تدعو الى الاعجاب ووصفوا البلاد المختلفة وصفا دقيقا مبنيا على المشاهدة [٢] .

كانت بغداد أهم مركز تجاري في الدولة العباسية . وقد أصبحت حلقة وصل بين الشرق والغرب بحكم موقعها الجغرافي وأهميتها السياسية ، فهي عاصمة الخلافة العباسية ، ومركز العالم الاسلامي ، وتوسطها بين أقاليم الوطن العربي ما جعلها السوق الطبيعية للتجارة الداخلية والخارجية [٣] . كما يمكن القول كيف ان بغداد قد استطاعت أن تكّون علاقات تجارية وصلات اقتصادية مع

---

(١) متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٣٧٠ .
(٢) حسن ، تاريخ الاسلام ، ٢ / ٢٥٤ ، سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٦٥ .
(٣) سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٤٣ .

الصين والهند من جهة ، ومع دول العالم البيزنطيي من جهة أُخرى . وبذلك انصف العرب والمسلمون بكثرة السفر وراء التجارة كسباً للرزق وطلبا للربح [١] .

بدأت التجارة العربية الاسلامية بالإزدهار في العصر العباسي الأول أبان خلافة هارون الرشيد ( ١٧٠ – ١٩٣ هجرية / ٧٨٦ – ٨٠٨ م ) وأخذت تتطور وتتقدم حتى وصلت اوج عظمتها في القرن الرابع للهجرة . وكان للاستقرار السياسي للخلافة والهيمنة الادارية واستتباب الأمن كفيلة برواج التجارة وانتشارها وتوسيع أُفقها [٢] . كما ان محافظة الخلافة على تخوم البلاد المطلة على الأقوام المجاورة لحدود دار السلام وانمائها ، قد ضمن للتجار الاجانب ربحا هادئا [٣] . اضف الى ذلك كانت المصاهرة التي حدثت بين السامانيين – حكام خراسان وما وراء النهر – وملوك الصين زمن الأمير نصر بن أحمد بن اسماعيل ( ٣٠١ – ٣٣١ هـ / ٩١٣ – ٩٤٢ م ) أحمد أكبر أُمراء الامارة السامانية آنذاك قد أدت الى تحسين العلاقات السياسية وبالتالي الى تأكيد الصلات التجارية بين الخلافة العباسية والصين ، ففتح أمام التجار العرب والمسلمون الطريق الى الصين [٤] وفي الحقيقة ان صلات العرب العريضة بالصين ترجع بواسطة الهنود الى ما هو اقدم من البعثة المحمدية ﷺ بزمن طويل . ولكن صلاتهم بها راساً لم يحدث الا بعد ان اقاموا دولتهم [٥] ومن ثم اخذ العرب يقومون برحلات متواصلة الى بلاد الصين ومن اقدمها الرحلة التي قام بها التاجر سليمان في سنة ٢٣٦ هجرية / ٨٥٠ م فكتب رحلته في سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م .. ثم أكمل أحد أبناء وطنه ابو

(١) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٣٠٤ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٩٧ .

(٢) ن . م ، ص ٢٩٢ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ٣٨٨ ، التنوطي ، النشوار ، ١ / ١٨٨ ، البيروني ، الجماهر ، ص ١٦٩ ، السمعاني ، الانساب ، ورقة ٦١ .

(٣) متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٣٧٢ ، سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٤٩ .

(٤) ياقوت ، البلدان ، ٣ / ٤٤٥ ، متز ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٣٧٣ .

(٥) غوستان لوبون ، حضارة العرب ، ص ٦٦٢ .

زيد [١] تلك الرحلة في سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م فاضاف اليها معارف أخذها عن عرب زاروا بلاد الصين [٢] .

ومع اننا لا نملك معلومات عن الطريق الذي سلكه سلام الترجمان في سنة ٢٢٧ هجرية / ٨٤٢ م لتحقيق حلم الخليفة الواثق بالله ( ٢٢٧ - ٢٣٢ هجرية / ٨٤٧ م ) في التعرف على سد يأجوج ومأجوج الذي بناه الإسكندر ذو القرنين [٣] . الا ان كثرة صلات العرب بأهل الصين قد أصبح أمرا ثابتا من خلال تبادل الوفود بين الخلفاء السابقين وملوك الصين ، فضلا عما هو مسطور في سجلات بيت مال الخلفاء من بيان للسلع الصينية [٤] .

وفي نفس الوقت نجهل الطريق الذي ذهب فيه ابو دلف مسعر بن مهلهل ( ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م ) حينما ذهب مع الوفد الذي ارسله نصر بن احمد الساماني ايام المخاطبات التي جرت بينه وبين ملك الصين [٥] بيد ان ياقوت الحموي كان يعرف هذا الوفد والطريق الذي سلكه من بخارا الى الهند والصين ، ولكنه لم يذكره أو يفصل فيه [٦] .

يقول المسعودي انه رأى عدة من الناس ممن سلك من بلاد الصفد على أجبال النوشادر الى أرض التبت والصين [٧] . وهذا الطريق وصفه ابن خرداذبه والذي

---

(١) لعله ابو زيد احمد بن سهل البلخي المتوفي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م صاحب كتاب ( صور الاقاليم ) و ( محاسن خراسان ) وغيرها كثيرة .

(٢) كتاب سليمان الذي نقل الى اللغة الفرنسية في اوائل القرن الاخير هو اول مؤلف نشر في بلاد الغرب عن بلاد الصين انظر : غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٦٦٢ - ٥٦٣ .

(٣) ابن خرداذبه - المالك والممالك ص١٦٢-١٦٣ من المقدسي - احسن التقاسيم ص٣٦٢-٣٦٣ . وانظر : مال الله - أدب الرحلات ص٣١ ، متز - الحضارة الاسلامية ٤١٥/٢ .

(٤) غوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٦٦٢ .

(٥) ياقوت - البلدان ٤٤٥/٣ . وانظر : مال الله - ادب الرحلات ص ١٣٢ .

(٦) يقول ياقوت " وقرأت في كتاب عتيق ما صورته : كتب الينا ابو دلف مسعر بن مهلهل في ذكر ما شاهده ورآه في بلاد الترك والصين والهند قال .." ، معجم البلدان ، ٣ / ٤٤٥ .

(٧) مروج الذهب ، ١ / ١٥٧ .

يسير من الشاش الى ايلاق ومنها الى اسبيجاب ومن ثم الى طراز ويتجه الى الشمال الشرقي الى لفرشجان الأعلى فبلاد الصين [١] .

كما ان الادريسي لم يكن أول جغرافي عربي وصف الطريق الذي يسير من فرغانة الى حوض نهر التاريم مارا بهضبة البامير حوالي سنة ٥٥٠ هجرية / ١١٥٥م [٢] فقد سبقه ابن خرداذبه ولكنه توقف في وصفه الى مدينة النوشجان الأعلى ولم يكمل سيرته الى الصين [٣] ولعل الادريسي قد اكمل الوصف من النوشجان الأعلى الى حوض التاريم مارا بهضبة البامير [٤] . على ان المسافرين من قرغاته والذي يمر باوزكند لا يجتاز ممرات علايا ، بل كانوا يسيرون في الطريق الذي يمر بمدينة اطباش ومنها الى نوشجان الاعلى ، حيث يسير هذا الطريق في قرى متقاربة متصلة سالكين طريقا جبليا وعرا وبخاصة اذا تعرض لسقوط الثلج فيه ، إذ لا يجتاز الا بمسيره يوم وبعد اجتيازهم النوشجان يتصل بالطريق الثاني الآتي من سمرقند الى الصين [٥] وكان هذا الطريق معد من الخوف ففي القرن الرابع للهجرة كانت القوافل لا تميل الى اتخاذ أقصر الطرق التي تخترق هذا الاقليم من فرغانه الى هضبة التبت لشدة الخوف من الترك [٦] .

ويمكننا عند فقدان الابناء عن صلات المسلمين بالصين ، وجهل علاقات الخلفاء بملوكها ، ان نستدل على سعة صلات المسلمين التجارية بأهل الصين من

---

(١) المالك والممالك ص ٢٨-٢٩ .

(٢) نزهة المشتاق ص ٥٠٧ وما بعدها . انظر : متز – الحضارة الاسلامية ٤١٦/٢ .

(٣) المالك والممالك ص ٣٠-٣١ .

(٤) نزهة المشتاق ص ٥٠٨ وما بعدها . ويؤخذ من هذا ان طريق الصين كان في القرن الرابع هو الطريق الذي وصفه سوين تسابخ ، والجرديزي . لان في الروايات الصينية ما يدل على ان هذه الجبال داخل ضمن سلاسل تيان شان شمالي كوشا . ف . م . متز .

(٥) ابن خرداذبه – المالك والممالك ص ٣٠ ، قدامه – الخراج ، ص ٢٠٨ الادريسي – نزهة المشتاق ، ص ٥٠٦ . وانظر : متز – الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٤١٤ .

(٦) قدامة الخراج ، ص ٢٠٨ .

يسير من الشاش الى ايلاق ومنها الى اسبيجاب ومن ثم الى طراز ويتجه الى الشمال الشرقي الى لفرشجان الأعلى فبلاد الصين [١] .

كما ان الادريسي لم يكن أول جغرافي عربي وصف الطريق الذي يسير من فرغانة الى حوض نهر التاريم مارا بهضبة البامير حوالي سنة ٥٥٠ هجرية / ١١٥٥م [٢] فقد سبقه ابن خرداذبه ولكنه توقف في وصفه الى مدينة النوشجان الأعلى ولم يكمل سيرته الى الصين [٣] ولعل الادريسي قد اكمل الوصف من النوشجان الأعلى الى حوض التاريم مارا بهضبة البامير [٤] . على ان المسافرين من قرغاته والذي يمر باوزكند لا يجتاز ممرات علايا ، بل كانوا يسيرون في الطريق الذي يمر بمدينة اطباش ومنها الى نوشجان الاعلى ، حيث يسير هذا الطريق في قرى متقاربة متصلة سالكين طريقا جبليا وعرا وبخاصة اذا تعرض لسقوط الثلج فيه ، إذ لا يجتاز الا بمسيره يوم وبعد اجتيازهم النوشجان يتصل بالطريق الثاني الآتي من سمرقند الى الصين [٥] وكان هذا الطريق معد من الخوف ففي القرن الرابع للهجرة كانت القوافل لا تميل الى اتخاذ أقصر الطرق التي تخترق هذا الاقليم من فرغانه الى هضبة التبت لشدة الخوف من الترك [٦] .

ويمكننا عند فقدان الابناء عن صلات المسلمين بالصين ، وجهل علاقات الخلفاء بملوكها ، ان نستدل على سعة صلات المسلمين التجارية بأهل الصين من

---

(١) المالك والممالك ص ٢٨-٢٩ .

(٢) نزهة المشتاق ص ٥٠٧ وما بعدها . انظر : متز – الحضارة الاسلامية ٤١٦/٢ .

(٣) المالك والممالك ص ٣٠-٣١ .

(٤) نزهة المشتاق ص ٥٠٨ وما بعدها . ويؤخذ من هذا ان طريق الصين كان في القرن الرابع هو الطريق الذي وصفه سوين تسابخ ، والجرديزي . لان في الروايات الصينية ما يدل على ان هذه الجبال داخل ضمن سلاسل تيان شان شمالي كوشا . ف . م . متز .

(٥) ابن خرداذبه – المالك والممالك ص ٣٠ ، قدامه – الخراج ، ص ٢٠٨ الادريسي – نزهة المشتاق ، ص ٥٠٦ . وانظر : متز – الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٤١٤ .

(٦) قدامة الخراج ، ص ٢٠٨ .

وجود عشرين مليون مسلم منتشرين في أجزاء مملكة ابن السماء ، ومن وجود مئة الف مسلم ، واحد عشر مسجدا في مدينة بكين وحدها [١] .

كانت طرق البريد هي المسالك التي استخدمها التجار في رحلتهم عبر الأقاليم العربية والاسلامية والاتصال ببقية الامم المجاورة .

وكانت علاقة الخلافة العباسية – وكما اسلفنا – مع العالم الصيني عريقة : إذ ان أحد أبواب مدينة سمرقند في خراسان كان يسمى ( باب الصين ) في الجهة الشرقية الذي يفضي الى الصين [٢] ولعله كان ( طريق الحرير العظيم ) الذي يجتاز قلب آسيا عبر أقليم خراسان وسمرقند الى اسبيجاب والنوشجان الأعلى [٣] .

وهذا الطريق ربما جعل التجار العرب والمسلمون ينظرون الى الصين كموطن للبضائع الكمالية الدقيقة الصنع [٤] وقد علق الثعالبي بقوله من ان العرب كانوا يسمون كل اناء دقيق او غريب الصنع وما شابه ذلك بغض النظر عن مصدره الحقيقي ( الصيني ) لان الاشياء الدقيقة الصنع من اختصاص الصين . ثم يمضي الثعالبي في ذكر خزفهم الشفاف وحريرهم المتموج الالوان المطرزة بخيوط الذهب ومعاطفهم المحمية من المطر بواسطة الشمع ، ومناديل المائدة المصنوعة من الحرير الصخري . ومراياهم المصنوعة من الفولاذ [٥] .

لقد دون البلدانيون العرب طريق الحرير العظيم هذا ، حيث يبدأ من بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومركز العالم الاسلامي الى النهروان ٤ قراشح [٦] . ثم الى الدسكره ١٢ قرشح ، ثم الى جلولاء ٧ قرشح ، ثم الى خانقين ٧ قرشح ،

---

(١) غوستاف لوبون – حضارة العرب ، ص ٦٦٣ .

(٢) البلخي – صور الاقاليم ، ورقة ١٣٨ ، الاصطخري – مسالك الممالك ، ص ٣١٦ .

(٣) ابن خرداذبه – المسالك والممالك ، ص ٢٨ – ٢٩ ، قدامة – الخراج ، ص ٢٠٩ وانظر : بوزورث – تراث الاسلام ، ١ / ١٨٦ .

(٤) بوزورث – تراث الاسلام ، ١ / ١٨٦ .

(٥) الطائف المعارف ، ص ١٩٤ .

(٦) القرسخ = ٣ اميال ، الميل = ٤ آلاف ذراع . انظر : ياقوت – البلدان ، ١ / ٣٨ – ٣٩ .

والى قصر شيرين (٦) قرشح ، والى حلوان (٥) قرشح ، وبعدها الى عقبة حلوان حيث ينساح الطريق في الأراضي الايرانية ليصل الى مرج القلعة بعد اجتيازه (١٠) قراشح ، ثم الى قصر بن يد وما بينهما (٤) قراشح ، والى الزبيدية (٦) قراشح ، ثم الى قصر عمرو (٧) قراشح ، والى قرميسين (٣) قراشح ، والى شيداز (٢) قرشح ، وهو مفرق طريق خراسان ، ثم الى الدكان (٩) قراشح .

ومن موقع الدكان هناك فرع من الطريق يذهب الى نهاوند وأصبهان ، وفرع اخر الى هندان وقزوين وهي من اقاليم الجبل لتغطي هذا الطريق بفروعه ايضا اقاليم جرجان وطبرستان ولتعود الى مفرق الدكان حيث يذهب الطريق منها الى اقصر اللصوص وبينما ٧ فراغ . والى عقبة همذان حيث يتجه الى قرية العسل ، ثم الى همذان ٥ فراسخ ، ثم يسير الطريق باتجاه بوزنجرد بـ ١٠ فراسخ ، ثم الى الاساورة ١٢ فرسخ ، والى قسطانه ١٧ فرسخ ، ثم الى مدينة الري ٧ فراسخ [١] . وبذلك يكون الطريق من بغداد الى الري طوله ( ١٦٧ ) فرسخا ، أي بمعدل ٥٠١ ميل .

ومن الري يسير الطريق بفرعه الثاني باتجاه القرب ليتصل باقاليم ومدن ارمينية واذربيجان ومن ثم الى ممالك الدولة البيزنطية [٢] .

ومن الري يوجد فرع اخر لهذا الطريق ليذهب الى مدن قزوين وابهر وزنجار [٣] .

ولنعد الى الطريق الرئيسي الذي يذهب بنا الى اكناف المشرق ، حيث يخرج الطريق من مدينة الري ليخترق هضبة يزد الايرانية ليغطي اقاليم المشرق وخراسان ، فالطريق يخرج من مدينة الري باتجاه مفضل اباد وبـ ٤ فراسخ . ثم الى الخوار ٢٠ فرسخا والى قصر الملح ٧ فراسخ ، والى رأس الكلب ٧ فراسخ ،

---

[١] ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ١٠١ – ٢٢٠ .

[٢] ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٢٢ .

[٣] ن . م .

والى سمنان ٨ فراسخ ، والى آخرون ٩ فراسخ ، والى قوس ٨ فراسخ . وبذلك يكون مجموع الطريق من الري الى قوس ٦٣ فرسخاً .

ويسير الطريق باتجاهات متعرجة من قوس الى الحداده وبينهما ٧ فراسخ ، والى ميمد بـ ١٩ فرسخاً ، ومنها الى اسد اباد ١٤ فرسخاً ثم الى بهمن اباذ بـ ٦ فراسخ ، والى النوق ٦ فراسخ ، والى خرف الجرد ٦ فراسخ ، والى حسين اباذ ٦ فراسخ ، والى نيسابور قصبة ولاية خراسان ١٥ فرسخاً . فتكون المسافة من بغداد الى نيسابور ٣٠٥ فرسخاً [١] ، أي بمعدل ٩١٥ ميل .

ويسخر الطريق في سيرة نيسابور الى الحمراء ١٠ فراسخ ، والى المثقب من طوس ٥ فراسخ ، والى النوقان ٥ فراسخ ، والى سرخس ٢٠ فرسخ ، والى قصر النجار ٣ فراسخ ، والى الداندانقان ١٧ فرسخ ، والى مرو الشاهجان احدى كراسي خراسان الشهيرة ١٠ فراسخ . فالمسافة اصبحت من بغداد الى مرو ٣٧٥ فرسخاً [٢] ، أي ١١٢٥ ميلاً .

ومن مرو طريقان احدهما يذهب الى الشاش وبلاد الترك حتى يتصل بالصين ، والآخر يذهب الى بلخ وطخارستان .

فمن مرو الى كشماهن ٥ فراسخ ، ثم الى المنصف ١٢ فرسخ ، والى الاساء ٨ فراسخ ، والى آمل ١١ فرسخ .

ومن آمل الى شط نهر بلخ ( جيحون ) فرسخ ، ثم يعبر الى الضفة الشرقية من النهر حتى يصل الطريق الى فربر من اقليم ما وراء النهر بفرسخ ايضاً . ومنها الى حصن ام جعفر ٦ فراسخ ، وبعدها يصل الطريق الى بخارا بخمسة فراسخ وهي المدينة التي اصبحت قصبة ولاية خراسان ابان الامارة السامانية [٣] .

---

(١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٢٢ – ٢٤ .

(٢) ن . م ، ص ٢٤ .

(٣) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٢٥ .

ويتجه طريق الحرير العظيم من بخارا الى الطواويس وبينهما ٧ فراسخ ، ثم الى كوكشيبغن ٦ فراسخ ، ومما يلي الجنوب من هذا الموضع تأتي منحدرات جبال الصين الى مدينة كرمينية بـ ٤ فراسخ ثم الى الدبوسيه ٥ فراسخ ، والى اربنجن ٥ فراسخ ، والى زرمان ٥ فراسخ ، والى قصر علقمه ٥ فراسخ ، ثم الى سمرقند ٢ فراسخ . فتكون المسافة من بغداد الى سمرقند ٤٦٩ فرسخ . ويقابلها ١٤٠٧ ميلاً [١] .

ويستمر طريق الحرير في سيره من سمرقند الى باركث وبينهما ٤ فراسخ ، ثم الى خشوفغن ٤ فراسخ ، والى يورغذ ٥ فراسخ ، والى زامين ٤ فراسخ .

وزامين مفرق طريقين احدهما يذهب الى الشاش والترك والآخر يتجه الى فرغانه .

ونتابع الطريق الاعظم من زامين الى خاوص الى فراسخ ، ومنها الى شط نهر الشاش ٩ فراسخ ، وبها جسر يعبر الى نباكت ٤ فراسخ باتجاه نهر ترك ، ثم يعبر نهر ترك الى شطوركث فالى نبونكت ٣ فراسخ ، ثم الى الشاش فرسخان . ويأخذ طريق الحرير اتجاهه الى معدن الفضة وبينهما ٧ فراسخ وكانت تسمى ايلاف . ثم الى باب الحديد ٢ فرسخ ، والى كبال ٢ فرسخ ، والى غركرد ٦ فرسخ ثم بعدها يصل الى الطريق الى مدينة اسبيجاب بـ ٤ فراسخ . ويذهب الطريق اسبيجاب الى شاراب ٤ فراسخ ، ثم الى ايارجاج ٤ فراسخ ، ثم الى النهر وعليه منزل ٦ فراسخ . ثم يعبر الى جوبكت ٥ فراسخ ، والى طراز ٣ فراسخ .

ويقترب طريق الحرير من حدود الصين ، حيث يسير من طراز الى نوشجان السفلى ٣ فراسخ ، ثم الى كول شوب ٦ فراسخ ، والى كولان ٨ فراسخ ، والى اسبره ٨ فراسخ ، والى نوزكت ٨ فراسخ ، والى كبال ٣ فراسخ ، ثم الى

(١) ن . م ، ص ٢٥ – ٢٦ .

نوشجان الاعلى وهو حد الصين مسيرة خمسة عشر يوماً للتداخل في المرعى . فاما لبريد الترك فمسيرة ثلثه أيام [١] .

تتكون مسافة الطريق من بغداد الى نوشجان الاعلى ٦٢٢ فرسخاً أي بما يعادل ١٨٦٦ ميلاً .

ومن النوشجان يتفرع الطريق داخل اقليم الصين الى عدة فروع حيث يأخذ احدهما جنوباً ليصل الى مدينة خانقوا الصينية والتي كانت تعد من اهم الموانئ البحرية فيها . [٢]

ويعد ميناء خانقوا نقطة اتصال بل بداية طريق الحرير العظيم الذي يتصل بالخليج العربي ويواصل مسيرته البحرية الى مدينة البصرة ميناء العراق امكير.[٣]

ومن طريق الحرير البري يأخذ فرع منه من بلخ وطخارستان وحيث يتصل هذا الطريق باكناف الهند والسند في الشرق ماراً بالملتان وغزنه [٤] .

وهذا الطريق كان يسلكه التجار العرب والمسلمون الذين يزاولون تجارة التوابل والعاج والاحجار الكريمة وغيرها [٥] . وهناك فرع آخر مهم سبعه وان ذكرناه ، يبدأ من مدينة زامين ويأخذ باتجاه الشرق حيث يتصل بضرغانه ، وكذلك اقليم خوارزم ، وعن طريق بحيرة الجرجانية ، حيث يتم الاتصال بروسيا الوسطى والغابات النفضية في سبيريا الى الشرق الاقصى [٦] .

---

(٢) ابن خرواذبه ــ المالك والممالك ص٢٧-٢٩ .

(٢) المسعودي ــ المروج ١٤٠/١ ، الساحر ــ الاصول التاريخية ص١٣ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) اليعقوبي ــ البلدان ٢٨٧ ، المسعودي ــ المروج ١٥٧/١ ، المقدسي ــ احسن التقاسيم ص٣٠٤ .

(٥) ابن خرواذبه ــ المالك والممالك ص٧٠ ، وانظر : سرور ــ تاريخ الحضارة ص١٤٧ .

(٦) انظر : المسعودي ــ التنبيه والاشراف ص٦٥ ، المروج ١٠١/١ ، بوزورث ــ تراث الاسلام ١٨٢/١ .

وتظهر أهمية هذا الطريق من تعداد المستوردات التي اوردها المقدسي والتي كانت تحضر من البلغار . وكانت هذه التجارة قد جعلت النقود الاسلامية تنتقل عبر الطرقات النهرية الروسية الى شمال اوربا ، وكانت تتألف أساساً من الدراهم الفضية التي ضربت في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ووجدت بعشرات الالوف في أنحاء روسيا والسواحل الاسكندنافية . كما وجدت قطعتان منها في أيسلندا [١] .

لقد كانت طريق الحرير العظيم الذي يربط بغداد وباكناف المشرق والصين عبر الاراضي الايرانية باجزاء المملكة العربية الاسلامية في المغرب حيث اقاليم الشام ومصر ومراكش ومن ثم الى الاندلس .

كما انه طريق الحرير العظيم جعل الاتصال ميسوراً بالامم التركية في ما وراء النهر في الجهات الشرقية والشمالية . وهذا الطريق مكن العرب والمسلمون ، الاتصال بالاتراك الكيماكية والخزلجية والنغز عن الساكنين في السهول المطلة على حدود الصين وهضبة التبت [٢] .

وكان اتراك البدو الشرقية ينظرون انه البلاد المستقرة المزدهرة في ما وراء النهر نظرة اكبار ، وهي موردهم الطبيعي للمنسوجات وغيرها من المصنوعات ، كما الى مناطق الاستقرار هذه بدورها تتطلع الى مناطق البداوة على انها مورد طبيعي للمادة الخام والثروة الحيوانية [٣] .

لقد كان الاقتصاد الزراعي للواحات الخراسانية وما وراء النهر يتم الاقتصاد الرعوي لمناطق السهوب . وكانت الابل والاغنام شريرا في اطراف

---

(١) احسن التقاسيم ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، بوزورث ـ تراث الاسلام ، ١ / ١٨٣ متنز ـ الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٣٧٢ .

(٢) ابن خرداذبة –المالك والممالك هما ، ٢٧ – ٢٩ / ٣٠-٣١ قدامة – الخزاج ، ص٢٠٦، ٢٠٨ ، ابن الفتية – البلدان ، ٣٢٧ – ٣٢٨.

(٣) محمود – الاسلام ، ص ١٤٨ .

السهوب من قبل اتراك اوغوز وقارلوق وكانت هذه المواشي بالاضافة الى الجلود ومنتجات الالبان تقايض بالمنتجات الزراعية والمصنعة [١] .

وبذلك استطاع العرب والمسلمون ان يرفعوا المستوى الحضاري للاتراك الشرقية ، كما تمكنوا عن طريق التجارة من خلال طريق الحرير من ادخالهم ضمن العقيدة الاسلامية [٢] لقد كانت الدواب وخاصة البغال والجمال من اهم الوسائل التي تنقل بها تجارة العرب والمسلمون الى اقاليم الصين ، اضافة الى الاستخدامات القليلة للخيل والمعز في بعض المناطق الجبلية الوعرة [٣] .

وكان طريق الحرير العظيم المار عبر ايران الى الصين مقسم الى سكك ومواضع او محطات لاستراحة التجار والتزود بما تحتاجه الفاصلة التجارية من مؤن ومواد ومياه . كما قسم هذا الطريق الى مراحل محددة تسمى ( السكة ) . والمسافة بين كل سكة خرسانة [٤] .

وقد اسهب الجغرافيون العرب في ذكرهم طريق الحرير العظيم ومسالكه وطرق المدن التي يمر بها من بغداد الى المشرق الاسلامي وتفرعاته في خراسان . والشعوب والامم التي يتصل بها ويمر فيها . ومن خلال الوصف الذي قدمه جغرافيو القرن الثالث والرابو للهجرة / يتضح ان هذا الطريق كان يمر بأراضي زراعية سهلية تكثر على جانبيه المزارع والنخيل ، ويجتاز بعض الهضاب والمرتفعات الجبلية ، ويمر بوديان عميقة الغور ويسير بين شعب من الجبال مما يعرض القافلة التجارية الى كثير من الخوف والمخاطر . كما يخترق

---

(١) البلخي – صور الاقاليم ورقة ١٢٦ ، الاصطخري – مالك الممالك ص٢٨٧ ، بوز ورث – تراث الاسلام ١٨٢/١ ، محمود – الاسلام ص١٤٨ – ١٤٩ ، بارثولد – تاريخ الترك ٤٣،٥٠،٥٧.

(٢) ابن حوقل – صورة الارض ص٤١٨ ، ٤١٩ .

(٣) الصولي – الاوراق ٥٤٩ ، ابن حوقل – صورة الارض ص٢٤ ابن الطقطقي – الفخري ص ١٠٦ .

(٤) الخوارزمي – مفاتيح العلوم ص٤٢ ، المقدسي – احد التقاسيم ص٦٦، أي بمعدل ٦ اميال .

بعض المفاوز والاراضي الصحراوية التي ليس فيها مدن او قوى عـــدا منـــازل البريد وسككه المبعثرة فيه .

كما ان طريق الحرير كان يسير في مناطق سبخة . وفي المرتفعات الجبليـــة من الاقليم كان الطريق يغمره الثلج في فصلي الشتاء والخريف ويجعـــل ســلوكه صعباً ومتعذراً في بعض الاوقات .

وطريق التجارة غدا يمر في كثير من المناطق التي توجـــد فيـــها الانـــهار واحواض المياه والعيون والآبار لسقي المارة فيه . كما يجتاز الطريـــق القنـــاطر والجسور والمعابر التي شيدت على الانهار والوديان .

ويمر طريق الحرير ايضاً بالمنازل والسكك والخانات والربط حتى يتمكـــن التجار والمسافرون من طرقها والنزول فيها للاستراحة بها . كما يجتـــاز القـــرى والمدن على اختلافها فيجد التجار فيها المؤن والتزود بالحاجات الضرورية الـــذي يتطلبه السفر الطويل . كما يجدون الامن والطمأنينة والسلام فيه الاضافة الى القيام بعملية التجارة في البيع والشراء [١] .

وهذا ما يفسر لنا ايضاً كيف نشأت مدن التجارة ومراكزهـــا علـــى طـــول الطريق والتي اصبحت مظهراً من مظاهر النمو الاقتصادي والتقدم الحضـــاري . وكانت بغداد آنذاك قلب هذه المراكز ومحور نشاطها . وكـــان طريـــق الحريـــر العظيم هذا يحتضن تجارة الصين وصناعاتها او خاصة الحرير الذي اخذ الطريـــق تسميته منها منذ القدم . والتي كانت المادة الاساسية لتجارة العرب والمسلمين فيمـــا بعد في مختلف الازمان والعصور . كما كان يدفع لها صادرات العراق وصناعتـــه المختلفة . ويظهر عمق التبادل التجاري واهميته المالية والاقتصادية من القائمـــة التي اوردها الاصطخري والمقدسي في هذا المضمار [٢] .

---

(١) ابن خرداذبة – المالك والممالك ، ص ١٨ وما بعدها . قدامة – الخـــراج ، ص ١٩٧ ، ابـــن القضية – البلدان ، ص ٣١٤ وما بعدها .

(٢) مسالك الممالك ، ص ٣١٤ وما بعدها . احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ وما بعدها .

ان التبادل التجاري الذي وفره طريق الحرير العظيم المار عبر المدن والاقاليم ، قد مكن التجار من اقامة المراكز التجارية فيه . ففي خرغانه لا بد وان تجد فيها بصرياً او حجرياً للقيام بالتجارة . وفي سمرقند توجد جالية تجارية من العراق (١) .

وهكذا يتضح أهمية طريق الحرير العظيم ودوره في النهضة المالية والاقتصادية وأثره في الرفاه الاجتماعي للدولة العربية والاسلامية ، والذي كان أيضا من العوامل الأساسية في التقدم التجاري الذي احرزه العرب والمسلمون ، مكان سبباً في علو شأن الجاليات في كثير من الاقطار التي يحكمها غير المسلمين كبلاد الخزر والهند والصين (٢) .

(١) البلخي ، صور الاقاليم ، ورقة ١٤٢ ، ابن القضية ، البلدان ، ص ٥١ وعن المراكز التجارية نظر مثلاً ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٧٠ – ٣٩٥ ، ابن فضلان ، الرسالة ، ص ٩٦ .

(٢) سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٦٤ ، متز ، الحضارة الاسلامية ، ٢ / ٣٧٤ .

## مصادر البحث ومراجعه :


١- الادريسي : ابو عبد الله محمد بن محمد الحسيني ( ت ٦٥٠ هجرية ) . نزهة المشتاق ، طبعة بريل ، ايطاليا ، نابولي ١٩٧٠ م .

٢- الاصطخري : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ( ت ٣٤١ هجرية ) ، مسالك الممالك ، دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٩٢٧ م .

٣- البلخي : ابو زيد احمد بن سهل ( ت ٣٢٢ هجرية ) . صور الاقاليم ، مخطوطة ، المكتبة المركزية ، جامعة البصرة، رقم ٦٣٧ .

٤- البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد ( ت ٤٤٠ هـ ) . الجماهر في معرفة الجواهر . حيدر آباد ، الدكن ، ١٣٥٥ هـ .

٥- التنوخي : القاضي ابو علي المحسن بن ابي القاسم ( ت ٣٨٤ هـ ) . جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة ، جـ ١ ، باعتناء د.س . مرجليوت ، مطبعة امين هندية ، ١٩٢١ م .

٦- الثعالبي : ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري ( ت ٤٢٩ هـ ) . لطائف المصارف ، مصر ، ١٩٦٠ م .

٧- ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي النصيبي ( ت ٣٦٧ هـ ) . صورة الارض ، مكتبة الحياة ، بيروت .

٨- ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ( ت ٣٠٠ هـ ) . المسالك والممالك ، دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ م .

٩- الخوارزمي : ابو عبد الله محمد بن احمد الكاتب ( ت ٣٦٦ هـ ) . مفاتيح العلوم ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ .

١٠- السمعاني : الامام ابو سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي ( ت ٥٦٢ هـ ). الأنساب ، باعتناء د.س مرغلبوت ، بريل ، ليدن ، ١٩١٢ م .

١١- الصولي : ابو بكر محمد بن يحيى ( ت ٣٣٥ هـ ) .الاوراق ، مخطوطة، نسخة مصورة بافرنشات ، دار الكتب المصرية ، مكتبة د. صالح احمد العلي ، احداث سنة ٢٩٥ – ٣١٨ هـ .

١٢- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا ( ت ٧٠٩ هـ ) . الفخري في الآداب ، السطانية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

١٣- ابن فضلان : احمد بن فضلان بن العباس ( ت ٣٠٩ - ٣١٠ هـ ) . الرسالة ، تحقيق د. سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٠٩م .

١٤- ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهمداني ( ت ٣٦٥ هـ ) . مختصر كتاب البلدان ، دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٥ م .

١٥- قدامه : ابو الفرج ، قدامه بن جعفر البغدادي ( ت ٣٢٠ هـ ) . الخراج مصنعه الكتاب . دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ م .

١٦- المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين ( ت ٣٤٦ هـ ) . التنبيه والاشراف ، بيروت ١٩٦٥ م . مروج الذهب ، مصر ١٩٦٤ م .

١٧ - المقدسي : ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري ( ت ٣٧٥ هـ ) . احسن التقاسيم ، دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ م.

١٨- النرشخي : ابو بكر محمد بن جعفر ( ت ٣٤٨ هـ ) . تاريخ بخارى ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

١٩- ياقوت : ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ( ت ٦٢٦ هـ ) . معجم البلدان ، نشر فستنفلد ، ليزك ١٨٦٦-١٨٧٠م.

٢٠- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح ( ت٢٨٤ هـ ) . كتاب البدلان، دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٩١م .

٢١- بارتولد : ف . بارتولد . تاريخ الترك ، ترجمة احمد السعيد سليمان ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

٢٢- بوز ورث : س . أ . وجوزيف شاخت . تراث الاسلام . الكويت ، ١٩٧٨ م .

٢٣- حسن : د. حسن ابراهيم . تاريخ الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٢٤- السامر : د. فيصل . الاصول التاريخية للحضارة العربية ، باريس ، ١٩٧٧ م .

٢٥- سرور : د. محمد جمال الدين . تاريخ الحضارة الاسلامية في المشـرق ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

٢٦ - لوبون : غوستاف . حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، بـــيروت ، ١٩٧٩ م .

٢٧- مال الله : علي محسن عيسى . أدب الرحلات ، بغداد ، ١٩٧٨ م .

٢٨- متتر : آدم . الحضارة الاسلامية ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو زيـــدة ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٢٩- محمود : حسن احمد . الاسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .